

المرأة الجزائرية بين الفضاء الأسري والفضاء العمومي، التحوّلات والنتائج.

محمد بن شعبي

benchaibi_15@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/06/07؛ تاريخ القبول: 2022/08/05

Algerian woman between home space and public space, mutations and results

Benchaibi Mohamed

Abstract: May topics are dealing with the woman's world, but they are still controversial. we've chosen one of them, the one who concerns the Algerian woman and her mutation from the space of family protected home to the public non-protected space. this mutation-passage- from one space to another was not due to a coincidence neither just one liberation act to break the men's dominance chaining which was illegal sometimes, but this mutation was due to different situations and conditions she lived. these latter incited –obliged – her to go out towards the public one. going to work, to studying in institutes and universities were one of the public space from. getting high diploma allowed her to be social player contributing to construct a civil society composed of many citizens. Therefore, the fact is that the presence of woman in this public space was not given to her freely but it was the result of a hard fight which began since the eighties of the last century.

Keywords : Algerian woman; family home space; men's dominance; social player; public space.

الملخص:

هناك العديد من المواضيع الخاصة بعالم المرأة، التي لا تزال محل نقاش والتي انتقينا منها موضوع المرأة الجزائرية وانتقالها من الفضاء الأسري المحمي إلى العمومي اللامحامي. هذا الانتقال أو الاقتحام لم

يكن وليد الصدفة أو مجرد فعل معبر عن التحرر وكسر قيود الهيمنة الذكورية اللامشروعة أحيانا، لكن هذا الانتقال جاء كتعبير عن ظروف عاشتها حثمت عليها الخروج إلى الفضاء العمومي، ومن الميكانيزمات التي ساعدتها في ذلك نذكر على سبيل المثال ولوجها عالم الشغل وطلب العلم في المعاهد و الجامعات، ومن ثم حصولها على شهادات عليا أهلتها لأن تكون فاعلة اجتماعية تساهم في بناء المجتمع المدني المتكوّن من مجموعة من المواطنين و المواطنات. لكن وكحقيقة اجتماعية، فإن حضور المرأة في الفضاء العمومي لم يُقدّم لها كمعطى جاهز. بل كان نتيجة نضال بدأ منذ ثمانينات القرن الماضي.

الكلمات المفتاحية : المرأة الجزائرية؛ الفضاء الأسري؛ الهيمنة الذكورية؛ فاعلة اجتماعية؛ الفضاء العمومي.

مقدمة:

لا يزال موضوع المرأة من المواضيع الأكثر نقاشا و جدلا بين الباحثين من كلا الجنسين، و هذه دلالة على قيمة الموضوع، إذ يبدو في ظاهره سهل التداول و المعالجة لكن في حقيقة الأمر يحمل في باطنه الكثير من التعقيدات و الصعوبات، خاصة إذا عولج من طرف امرأة وهذا في ظل عدم التمكن من وضع حدّ لتدفّق عنصر الذاتية لدى البعض منهنّ لكن تبقى مواضيع هامة لأنها تُعبّر عن واقع معيش يختلف من فئة إلى أخرى.

للإشارة، فموضوع المرأة كما سبق ذكره أصبح من المواضيع المعقّدة و الشائكة، وهذا راجع لعدّة أسباب، على رأسها التحوّلات الاجتماعية mutations sociales السريعة التي تعيشها بعض البلدان العربية و التي الجزائر عيّنة منها. حيث أصبحت تميل ميلا كبيرا إلى كلّ ما هو جديد و حديث في نمط عيشها، قصد إعطاء صورة نمطية جديدة تتماشى و متطلّبات هذا العصر، عصر الموضة و الرّقمنة و سرعة الانجاز. هذه الصّور أو الأفعال تلاقي في بعض الأحيان الصّد و الرّفص وأحيانا أخرى تلاقي التّرحاب و القبول. لأنّ الأمر يتعلّق

ببعض المواضيع التي يصنفها البعض في خانة الطابوهات أو المقدسة و التي لا تُناقش إلا في حدود ضيقة، أو هي مواضيع تخدم الحياء، ومن مثل هذه المواضيع قضية التدخين، الفتوى، حرية التعبير من دون قيد، الموضة، الجسد، النوع، اقتحام الفضاء العمومي... هذه بعض المواضيع التي أصبحت تُطرح للنقاش ولكن بمقاربات وأفكار جديدة، على عكس ما وُجد في السنوات الماضية. فمثلا لم يعد الفضاء العمومي حكرا على الرجال فقط. لكن يمكن القول بأنه أصبح مختلطا نوعا ما. هذا ما سنسلط الضوء عليه في هذه الورقات.

بخصوص مسألة الحريات، وبعيدا عن أي جزم أو حكم نهائي فإن المرأة العربية عامة، والجزائرية خاصة لا تزال تعاني العديد من الضغوطات والاكراهات وكذا التعسف في حقها، الناتج أحيانا عن الفهم الخاطئ للدين، هذا ما أسمته الأكاديمية والباحثة التونسية زهية جويرو في آخر عمل فكري لها بالوآد الجديد: مقالات في الفتوى وفقه النساء 2019. تعسف تولد عنه حياة المعاناة و الذي ينجم عنه أيضا الكثير من الأمراض النفسية و النفسجسدية، خاصة فئة النساء الماكثات بالبيت و اللاتي يتمتعن بمستوى ثقافي محدود فمثلا لا تستطيع امرأة أن تقدم شكوى ضد زوجها الذي لا يحسن معاملتها أو يُعنفها من باب عيب و عار و اللعنة، وغيرها من الخطابات العرقية الموجودة في المجتمع الجزائري .

من بين النقاط التي أثارت اهتمامنا في موضوع المرأة الجزائرية هو حضورها في فضاءات اجتماعية أخرى غير الفضاء الأسري، بعضها ينتمي إلى ما يُعرف بالفضاء العمومي (الساحات العمومية

الحدائق، الملاعب، المتنزهات، قاعات الشاي، الملاهي...) هذه المسألة تمت مناقشتها قديما و حديثا، و هذا مرده إلى عاملين. الأول: هو أنّ الموضوع ذو علاقة وطيدة مع المجتمع و من مميزات هذا الأخير هو التحول و التغيير، و بالتالي فتحى الظواهر الاجتماعية خاضعة لهذا المبدأ. و الثاني: بقيت مواضيع ذات علاقة بالمرأة

مفتوحة للنقاش لهذا من الصَّعب أن نجد إجابات للعديد من القضايا الخاصة بها، إجابات و حلول مُقنعة بما فيه الكفاية.

من هذا المنطلق تبلورت إشكالية مقالنا هذا كالآتي:

إلى أي مدى سجّلت المرأة الجزائرية حضورها في الفضاء العمومي وما هي الميكانيزمات التي عزّزت ذلك ؟

سنشتغل طيلة هذا البحث مع ثنائية الخاص و العمومي privé et public وحسب التقسيم الكلاسيكي، فالأوّل يُمثله المجال الأسري و الثاني يُمثله كلّ ما هو خارج عن المجال الأسري، لا طالما ارتبط النوع الأوّل بالداخلي و الذي تمثّله المرأة بامتياز. أمّا النوع الثاني مرتبط بالخارجي و الذي يُمثله الرّجل بامتياز.

إنّ هذه التمثّلات وليدة القدم و هذا نفسه راجع إلى عدّة أسباب منها ما هو ديني و ثقافي و عُرفي. لكن اليوم لم يعد هذا التّمييز distinction يحمل المعنى نفسه، و الأمر مرّدّ إلى نهاية عصر الهيمنة الذكورية التي عرفها المجتمع الجزائري قديما، حيث تفتّحت ذهنيات الأفراد قليلا و ازداد نمو الوعي الثقافي و الاجتماعي و كذا السياسي.

قبل الغوص في محتوى هذه الورقات، لا بأس أن نُشير بعض الجوانب الخاصة بالموضوع و المتمثلة في تقديم بعض التعاريف لثنائية الخاص و العمومي أي للفضاء الأسري من جهة و الفضاء العمومي من جهة أخرى.

الفضاء الأسري: هو ذلك الفضاء الذي كانت تمثّله العائلة المُمتدّة famille élargie في العقود الماضية و الذي كان يضمّ ثلاثة أجيال داخل منزل واحد. من مُميّزات هذا النمط أنّه كان يشمل تقسيما في الجنس و العُمُر و المكانات فغالبا ما كانت تعود القرارات للشخص الكبير في السّن، لما له من خبرة في الحياة و الحكمة و الهيبة و الوقار. أمّا اليوم فالفضاء الأسري يشير إلى ما يُعرف بالأسرة النواة famille nucléaire التي تضمّ زوج و زوجة و أبناء غير متزوّجين.

هذا النوع من الأسر يؤدي عدّة وظائف على رأسها الوظيفة البيولوجية والاقتصادية بالإضافة إلى الوظيفة التنشئية، هذه الأخيرة ترتبط ارتباطاً وطيداً بالفضاء الأسري. حتّى وإن وُجدت مؤسسات أخرى تقوم بنفس المهام لكن ليس بنفس درجة التأثير كالمدرسة، المسجد، المجتمع، وسائل الإعلام. كما أنّ نجاح الناشئة دليل يبيّن على وجود عمليّة الإشراف الأسري، الممثل الأوّل له هو المرأة، ثمّ يأتي دور الرّجل في المرتبة الثّانية داخل اللّبنة الأسريّة.

الفضاء العمومي: توجد العديد من التعاريف الخاصّة بهذا الموضوع و في شتّى تخصّصات العلوم الإنسانية و بصفتنا ننتمي إلى نفس هذا الحقل العلمي فيمكننا القول بأنّ الفضاء العمومي عبارة عن حيّز مكاني مفتوح، واسع الأرجاء وملك لجميع الأفراد على اختلاف الأعمار و الأجناس، كذلك هو ذلك المكان المخصّص للتجمهر قصد التعبير عن انشغالات الحياة اليوميّة وكذا ممارسة الحريّات بما تسمح به المعايير و القيم. وعن معاني هذا المصطلح كتبت الباحثة الجزائرية يمينة رحو مايلي:

"إنّ مصطلح فضاء عمومي يجمع العديد من المعاني، يعني بالمرّة فضاء رمزي، مادّي. الفضاء الرّمزي كفضاء للمحادثة والنقاش و التعبير عن الرّأي العام، و الفضاء المادّي بالمعنى المكاني، كحيّز للتبادل و لحياة الاستعمال المشترك، على غرار الأمكنة، الحدائق، المنتزهات، الأسواق و أماكن أخرى لممارسة أنشطة متنوّعة من طرف الجماعات". (Yamina Rahou, 2011: 252)

ومن بين هؤلاء المفكرين الذين اشتغلوا على هذا المصطلح وطوّروه مع إعطائه صبغة معرفيّة جديدة، الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني Yurgen Habermas الذي عرّفه كالآتي "الفضاء العمومي هو عمليّة يتمكّن أثناءها العامة المتكوّنون من أفراد يعتمدون على منطقهم في الاستيلاء على المجال العمومي المراقب من طرف السّلطة ومن ثمّ تحويله إلى حيّز يُمارس فيه الانتقاد ضدّ السّلطة الدّولة". (Yamina Rahou, 2011: 252)

إنّ الفضاء العمومي عند هبرماس، هو وليد الطبقة البورجوازية - الأنتليجانسيا خاصّة- التي عرفها المجتمع الأوروبي في القرن الثامن عشر والتي كان لها الشأن الكبير في تسيير شؤون المجتمع آنذاك باعتبار أنّها صانعة للقرارات و النّظم، دون أن ننسى الإعلام و دوره في تشكيل الرّأي العام عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري. هذا ما وُجد سابقا و لا يزال في معظم البلدان الغربيّة والعربيّة.

"على الرّغم من التّعديلات التي أدخلها هابرماس على مفهومه للفضاء العمومي، إلا أن أفقهُ ظلّ مُغلّقا بالتّعريف الأفلاطوني للعقل، وبتمتّي إحداث تراقبية للفاعلين الديمقراطيين (المستثمرين، ثمّ الحركات الاجتماعية التي تسود على التوالي)، فإذا كان هذا الأفق يقدّم إطارا للممارسة الديمقراطية، فسيظلّ مقتصرًا على الفاعلين و المنطق، فلماذا لا تكون الديمقراطية قضية الجميع ذكورا وإناثا؟". (أريك ميغري، 2018: 447-448). سنترك الرّد عن هذا التساؤل في ختام عملنا هذا لننتعّف أكثر عن مكوّنات حلبة الفضاء العمومي بالمجتمع الجزائري.

بعد هذا التّقديم المُختصر للموضوع الذي أوضحنا من خلاله بعض مفاهيم هذه الورقات سنغوص في محتوى عملنا محاولين الكشف عن العوامل التي سهلت ولوج المرأة الجزائرية إلى هذا الفضاء محلّ النقاش، و الذي كان حكرًا على المجتمع الذكوري منذ سنوات مضت، وكدليل على ترسيخ هذه الفكرة في ذهنية الجزائري هو ما كان حاضرا حتّى في المُقرّرات المدرسية التي درسناها ونحن أطفالا صغارا العبارة التّالية : الأم في المطبخ والأب في العمل أو مثلا زينة تساعد أمّها وأخيها يلعب في الحديقة...

بعض الميكانيزمات المساهمة في التحوّل:

لا يُمكن الحديث عن انتقال المرأة الجزائريّة من الفضاء الأسري الآمن إلى العمومي الحاف بالمخاطر دون فهم أهم الميكانيزمات التي ساهمت في ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، و التي سنذكرها من منظور سوسيوأنثروبولوجي على شكل محورين أساسيين.

المحور الأول : خروج المرأة الجزائرية للعمل المأجور.

خروج المرأة للعمل براتب شهري أو ما يُعرف بالعمل المأجور *travail féminin rémunéré*. هذا يعني أنّه سبقها في ذلك الرجل، وهذه في الأصل ثنائية صعبة الفصل، حيث لا مجال للحديث عن الرجل بعيدا عن المرأة و العكس يجوز. إذ كلاهما يُمثّلان طاقة بشرية هامة و منتجة. لكن ثمة أمر يسمّى تقسيم العمل *division du travail* الذي "يعود في أول أمره إلى الفكر اليوناني، خاصة أفلاطون و قوله بنظام الطبقات في الدولة". (موفق زازوي، 2015:190)

ما يفهم من هذا التقسيم الطبقي، فإنّ أفلاطون لم يضع فارقا بين ما هو رجالي و نسوي في العمل، لأنّ المسألة ذات علاقة بالتخصّص و الإنتاج فقط.

أمّا بخصوص المجتمع الجزائري قديما ، فلا أحد ينكر مساعدة المرأة لزوجها خارج البيت في نشاط ما ، كمساعدته في جني الثمار أو خدمة الأرض أو حتّى الرعي و هذا ما يُعرف باقتصاد العائلة. هذا ما وجد تقريبا في عيش القرى و الأرياف الجزائرية أمّا في المدن فنجد المرأة قد مارست بعض الأعمال داخل المنزل كالخياطة و صناعة المنسوجات بأدوات تقليدية. دون أن ننسى الدور الذي لعبته جميلات الجزائر في فترة الاستعمار.

لكن بعد استقلال البلد مباشرة ، أصبح له صورة جديدة مغايرة نوعا ما لفترة الاحتلال ، حيث شيئا فشيئا ، دخلت المرأة الجزائرية عالم الشغل. لكن في تخصّصات محدودة جدّا مثل التعليم (المرأة المعلمة) والصحة (المرأة الطبيبة أو الممرضة) ، ثم بعد فترة من الزمن عملت بالقطاع الصناعي خاصة في فترة السبعينات وبداية الثمانينات لأنّ البلد كان لا يزال في حالة بناء ، وبالتالي حاجته لليد العاملة المنتجة ومن أشهر تلك المؤسسات مؤسّسة

ENIEM, SOITEX, SONACOM. حيث كانت ترتدي المرأة العاملة الحايك أو ما يُعرف أيضا بالملحفة قبل دخول المؤسّسة الإنتاجية و بعد خروجها منها.و كانت تنتقل صباحا إلى مكان العمل- المصنع- عبر الحافلة الخاصة بتلك المؤسّسة، و كانت أيضا هذه

المؤسسات تضمن للعمّال النّقل و خدمات أخرى كتوفير محل تجاري لبيع المواد الغذائية لتكون المرأة بذلك قد اكتسبت ثقافة عمّالية بامتياز كتقافة الإنتاج و النقابة و الإضراب و الرّاتب والاتصال غير الرّسمي... لكن في الوقت نفسه تخلّت عن جزء من مكانتها و دورها كامرأة داخل الأسرة إذا ما قارناها مع أخرى مأكثة بالبيت.

وعن تمثيلات المجتمع الجزائري لعمل المرأة في تلك السنوات فلقد كان "يُنظر بازدراء للفتيات العاملات في التمريض و التّعليم و المهن الأخرى، وكانت كلّ عائلة محترمة تمنع بناتها من امتحان هذه المهن، لقد بدأت المرأة في الذهاب للمدارس في بداية القرن الماضي، ومع الوقت وتحت ضغط الحاجة الماديّة اضطرّت المرأة إلى الخروج للعمل بكثافة، فمجتمعنا لا يزال يؤمن بأنّ المرأة خلقت أصلا للعب دور الأم و الزّوجة و المربية للأطفال، وهي أصلا لم تذهب للعمل إلّا عندما أرغمتها الحاجة الاقتصاديّة، وأصبحت المرأة العاملة خارج المنزل تعود إليه بدورها كأُم و مُربية". (عاجب بومدين، 2016/2017: 21)

إنّ حقيقة هذا المنع و الرّفص الّتي عاشتهما المرأة الجزائريّة سابقا، في حقيقة الأمر كان سببها الثقافة الأبويّة النّاجمة عن الهيمنة الذكوريّة الّتي كانت متجذّرة لدى الرّجل الجزائري، أحيانا بلغت درجت المغالاة. هذا ما جسّدته المقولة القديمة القائلة: المرا أو المرأة لا تخرج إلّا لثلاث أماكن: حين تُرَفُّ لزوجها، حين الذّهاب إلى الحّمّام، وحين الوفاة يُخرجُ بها إلى المقبرة. و حول ما سمي بالثقافة الأبويّة كتب الباحث في علم الاجتماع عدّي لهواري ما يلي: " الثقافة الأبويّة تحصر الحياة الاجتماعيّة للمرأة في الفضاء العائلي و تمنعها من الخروج للاختلاط بالرّجال " (Lahouari , 1999:127). وعليه فإن خرجت لميدان العمل في إحدى الفضاءات فإنّ خروجها لا يكون مُرحّبا به، ولا طالما كانت عُرضة للرّفص و السّخرية و التّقليل من عملها وان كان نبيلًا ، ولنا في الواقع الاجتماعيّ العديد من الشواهد والأمثلة الّتي عايشها الجيل الماضي، هذا ما تجسّد كمثال من خلال فيلم جزائري شهير بعنوان " طبيب القرية"، إخراج عبد الغني مهداوي و بطولة الممثل القدير عثمان

عريوات في دور سّي عيسى، الذي رفض تعيين طبيبة لسكان القرية، لأنّ طبيب القرية حسب رأيه يجب أن يكون رجلا. هي حقيقة عُرْفِيّة لا أكثر وبالتالي تعارضها مع حقيقة أخرى نصّ عليها الدّين الحنيف. الذي لم يُقَيّد المرأة أو يمنعها من ممارسة الوظائف، بل أجاز لها ذلك وفق ضوابط معيّنة و حتى في حالة المنع لفعل ما فإنّ من ورائه منفعة لا محالة.

هذا ما وُجد سابقا، أمّا في عصرنا الحالي فيمكن القول بأنّ تلك الحواجز و الموانع قلّت نوعا ما. إذ أصبح يُنظر إلى المرأة العاملة نظرة أخرى (غنيمة حرب لدى البعض) ، و لم تعد فضاءات عملها حكرا على قطاعات دون أخرى، إذ اقتحمت جلّ المؤسسات الخاصّة و العموميّة والأجنبيّة وأيضا المؤسسات المكلفة بالأمن. أمّا في الفضاءات العموميّة فكَذلك لها نصيب كبير فيها، إذ أصبحنا نتعامل مع المرأة التّاجرة و العاملة في المقهى والمطعم...

"إنّ التّقسيمات السوسيو-ثقافيّة و الاجتماعيّة لعوالم النّساء و الرّجال، كانت تتّمنّ عن طريق تقسيم الأدوار أيضا، فالمرأة لها مهمّاتها الخاصّة داخل البيت ، و للرّجال مهمّاتها المنوطة بهم خارج فضاء النّساء. إنّ الوضعية الجديدة للمرأة قد تميّزت بقفزة كميّة ونوعيّة جيّدة، خاصة في مجال العمل النّسوي. فالعمل المأجور للمرأة، أصبح في السّنوات الأخيرة، من الضروريّات المُلحّة حتّى تتمكّن المرأة من مساعدة والديها أو زوجها و ربّما أولادها إذا كانت أرملة أو مُطلّقة وضرورة حتّى تتمكّن من توفير لقمة العيش و تلبية متطلّبات الحياة. ويقرّ المجتمع بالنّسبة للمرأة التي ليس لها أيّ دخل، الحقّ في العمل الذي يحفظ لها كرامتها و يصون شرفها". (مرقومة منصور 2020:140)

ما نفهمه ممّا تقدّم و كحلقة ربط بين عمل المرأة على مستوى الطّبقات الاجتماعيّة في عصرنا الحالي نستدلّ كذلك بما كتبه الباحث عدي لهواري حول هذا الشّأن كما يلي " عمل النّساء إمّا ضرورة بالنّسبة للطّبقات الفقيرة، أو هو علامة للتحرّر بالنّسبة للطّبقات المتوسّطة، خاصّة الإطارات اللّائي من بينهنّ الأستاذات، الطّبيبات ، المحاميات..." (Lhouar Aadi,1999:137). في كلتا الحالتين

سواء كانت المرأة تنتمي إلى عائلة ضعيفة الدّخل أو متوسطة الدّخل وهذا ما يعكس أيضا انتمائها إلى إحدى الطبقات، فإن دورها داخل الأسرة قد طرأت عليه بعض التّغيرات و بنسب متفاوتة خاصّة فئة المتزوّجات منهنّ اللائي أصبحن في حاجة ماسّة إلى شخص آخر يساعدنّ في شؤون البيت، خاصّة في تربية الأبناء أو اللّجوء إلى دور الحضانة وما شابهها. لكن في حقيقة الأمر تربية الأبناء من طرف الأم لا يُعوّض بأيّة مؤسسة مهما كانت منزلتها أو سمعتها، وهذا ما أكّدته جلّ النّظريات التربويّة والنّفسية.

المحور الثّاني : الزّواج والمستوى الثقافي.

بعد إشارتنا إلى عمل المرأة المأجور كإحدى الميكانيزمات الهامّة التي غيّرت قليلا من مكانة المرأة و دورها داخل فضاء الأسرة، نتناول في هذا الملحق الثّاني ما لهُ علاقة بزواج المرأة و مستواها الثقافي الذي سهّل لها الولوج إلى الفضاء الخارجي. إذ يختلف هذا الموضوع كثيرا عمّا كان عليه سابقا (سنوات السّبعينات و الثّمانينات) وبالتالي كلّ تغيير مسّ هذه البنية أو هذا الجانب يتبعه آخر يمسّ مكانة المرأة و دورها داخل الأسرة وخارجها .

أول ما يجب الإشارة إليه في هذا الجانب، هو التّذكير بذلك النمط الذي كانت تعيش فيه المرأة المتزوّجة في السنوات الماضية، حيث كانت تعيش في ظلّ ما يعرف بالفضاء العائلي الذي كان يضمّ ثلاثة أجيال و كان كلّ فرد داخل العائلة يقوم بدوره و له مكانة خاصّة به، أمّا عن كيفة الزّواج، فوجد ما يُسمّى بالزّواج التقليدي. كأن يخطب الأب لابنه و ما على هذا الأخير إلّا القبول. بالموازاة ليس هناك مشورة مع البنت و ما عليها إلّا القبول أيضا، مهما كانت النتائج المُستقبلية، أي سواء كلّ هذا المشروع بالتّجّاح أو الفشل وعادة ما كان يتمّ هذا الزّواج بين العائلات التي تقطن داخل المدينة الواحدة، ما يعرف أنثروبولوجيا بالزّواج الدّاخلي l'endogamie. وأفضله الزّواج من بنات العمّ الذي اشتهر في كلّ البلدان العربيّة، هذا ما أشارت إليه الباحثة الاثنولوجيّة Germaine Tillion من خلال النّص التّالي على لسان عالم مغربي مُسن: "إنّ النّاس يُحبون الزّواج من ابنة عمّهم مثلما يحبّون أكل لحم الماشية التي يُربّونها" (جيرمان تيون، 2000: 86.87) هذه كناية

تحمل العديد من الدلالات و المعاني حول خصوصيات العوائل الجزائرية في الحقب الماضية حول نوع الزواج المفضل لدى الكثير من الجزائريين عكس ما هو سائد الآن.

بالإضافة إلى هذا ومن باب العادات السائدة وقتئذ، كان يتم الزواج بين شريكين "دون حُب و بين أبناء العم فقط " (Fadela 18:1967, Mrabet) هذا كتأكيد لما ذكرناه حول نوع الزواج السائد قديما و الذي عادة ما كان يخدم الجانب العرفي، أما عن الصدمة التي كانت تتلقاها البنت في ظل تلك الأعراف و العادات التي لا تمت للدين بصلة هو أنه أحيانا كان يتم تزويجها مع شخص يكبرها سنا بكثير، مرّات يصل هذا الفارق إلى خمسون سنة باختصار القول، قديما لم يكن يؤخذ برأي المرأة في مسألة الزواج و هذا دليل على تهميش لمكانتها كإنسان له الحرية في اتخاذ القرار، و أحيانا حتّى الرجل كان يعقد قرانه بمجرد أن يعود من سفره أو غيابه، و خير دليل على هذا الواقع الاجتماعي الخطاب الآتي: ما نعرفهاش، جابوها لي الوالدين. معناه ليس الزوج من كان يختار، بل الوالدين، وفي حالة فشل هذا النوع من الزواج، تعيش العائلتين على وقع مشاكل جمّة إلى غاية تفكّك و تشتت الأواصر القرابية بينهما. لتنتقل المشكلة من شخصين إلى عائلتين و لتنتقل معها الكراهية والعداوة بين كلّ أفراد العائلتين.

هذا ما عاشه المجتمع الجزائري في العقود الماضية، أما في زمننا الحالي و بالخصوص في القرن الواحد و العشرين صارت المرأة تتمتع باستقلالية كبيرة أحيانا تكون ناجمة عن تمتّعها بمستوى علمي (حاصلة على شهادة عليا)، بمعنى آخر تستطيع أن تُخطّط و تختار و تتخذ قراراتها بإرادتها دون إكراه، و حتى في حالة الزواج يجب عليها أن تحافظ على هذا الإرث العلمي و الثقافي الذي تحصّلت عليه، و الملاحظ حول نمط العيش الحالي بالنسبة لأفراد المجتمع الجزائري فصار الكلّ تقريبا يعيش في خضمّ ما يعرف بالأسرة الثّواة التي أشرنا إليها سابقا. أين تستطيع ربة البيت عيش يومياتها بكلّ حرية وبعيدا عن رقابة خاصّة من طرف أم الزوج أو ما يعرف ب "العجوزة"، و حول هذا الشأن سنستدلّ بهذه الفقرة للسوسيولوجي الراحل فوزي عادل "إنّ أهم المطالب للمرأة اليوم هي

أن تكون المسيرة لفضائها المنزلي، و ترفض العيش مع والدي الزوج و يصلن إلى درجة الصراع إذا كان تدخل هؤلاء غير مسموحا به (Faouzi Aadel, 1998 : 76)."

إن مسألة الصراع بين الزوجة و أم الزوج مسألة اجتماعية قديمة و التي يسميها البعض بصراع الأجيال(أنتم، نحن) و لكن في حقيقة الأمر هي صراع أوار، أدوار تنسم بالأصالة ومحاربتها للتجديد من جهة، و أخرى تتطلع إلى كل ما هو جديد وعصري وترفض تلك الهيمنة التي تراها غير مشروعة، أحيانا تلك الصراعات تنسم بطابع العنف مما يُعص حياة العائلة بكاملها، لأنّ الجو العائلي يكون دوما في حالة تكهرب و غياب الراحة النفسية. وعليه يمكن القول بأنّ المستوى الثقافي ساعد المرأة على ولوجها إلى الفضاء العمومي ومن ثم خلق لها مكانة فيه وأصبحت تشكّل جزءا لا يتجزأ من المجتمع المدني، من خلال تكوينها مثلا للجمعيات بمختلف أنواعها التي يمتد تاريخها منذ ثمانينيات القرن الماضي.

خاتمة:

تأسيسا على ما سبق، و كخاتمة لهذا الجهد الفكري المتواضع، توصلنا إلى حقيقة علمية مفادها أنّ الفضاء العمومي الجزائري طرأت عليه العديد من التغيرات من خلال تواجد المرأة فيه. حيث لم يعد كمكان يملكه ويستعمله عامة الناس فقط. بل أصبح عبارة عن نص مليء بالرموز والمعاني التي تحتاج إلى قراءة و تأويل كون المرأة أصبحت فاعلة اجتماعية فيه، فبعد حضور المرأة الجزائرية في كلّ قطاعات العمل و الشّاقة منها أيضا على وجه التّحديد، كوظيفة مهندس في المقاولات أو التي تعمل في جهاز الأمن وغيرها التي كانت حكرًا على الرجال فيما مضى. يمكن القول أنّه تُقبّل إلى حدّ ضعيف وجودها داخل الملاعب الرياضية لمناصرة الفرق الرياضية في محافلها الكبرى كتلك المباراة التي لعبت في أم درمان بالسودان و التي سُميت بالملحمة وحسب بعض المناصرين الشّباب فالمرأة الجزائرية رسمت لوحة فنية جميلة بوجودها في الملعب. لكن وبعد مُضي سنوات المحافل الكروية و التّثويج بالكؤوس، جاء تاريخ 22 فبراير 2019

والذي يُمثّل نقطة تحوّل جدّ هامة في تاريخ الجزائريين: بداية الحراك و الذي أيضا كان حاضرا فيه المربع النسوي بقوة في كلّ يوم جمعة وثلاثاء من مختلف الأعمار والشرائح الاجتماعية دون تمييز. و منهم من اكتفين بالمشاركة في هذا الحدث انطلاقا من الفضاء الأسري عن طريق مواقع التواصل الاجتماعية كالفيسبوك و تويتر و مبدأهنّ في ذلك أنّه لن تكون هناك ديمقراطية دون نساء، كما لن تكون هناك مساواة من دون ديمقراطية. بهذا الحدث أصبحت حلبة الفضاء العمومي حلقة وصل بين المواطن الجزائري و السّلطة الحاكمة و التي أيضا للمرأة فيها نصيب.

أمّا عن يوميات المرأة من خلال حضورها بالفضاء العمومي فلم يعد هذا الأمر يُثير التعجّب أو الغرابة كما لم يعد يشكّل طابوها من الطابوهات، لتتكسر بذلك صورة الرّجل المُهيمن و المالك لهذا الحيز المكاني كونها صارت فاعلة اجتماعية داخله، وليست متفرّجة على الأحداث التي تدور فيه مطلع كلّ يوم جديد.

المراجع:

- 1-تيون جيرمان، (2020). الحريم و أبناء العم، تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط، ترجمة عز الدين الخطابي وإدريس كثير، ط1. بيروت: دار السّاقى .
- 2- زازوي موفق، (2015). «إشكالية عمل المرأة في الجزائر». مجلة الفكر المتوسطي، جامعة تلمسان، المجلّد 05، العدد 10 ص.ص 187-209.
- 3-عاجب بومدين، (2017/2016). الآثار الأسرية والاجتماعية المترتبة عن عمل المرأة خارج البيت، دراسة ميدانية، على عينة من النساء العاملات بمدينة الأغواط، أطروحة مقدّمة لنيل أطروحة دكتوراه في (علم النفس)، جامعة وهران، الجزائر.
- 4- مرقومة منصور، (2020). أنثروبولوجيا المدينة والفضاءات الحضرية، ط1. عمّان: دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع .
- 5- ميغري اريك، (2018). سوسيولوجيا الاتّصال والميديا، ترجمة نصر الدّين لعياضي، ط1. المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار.

- 6-Aadi Lahouari . (1999) .Les mutations de la société algériennes, famille et lien sociale dans l'Algérie contemporaine. Paris : édition la découverte.
- 7- Adel Faouzi.(1998) ." La crise du mariage en Algérie" . Insaniyat .vol.II,1. n 4.Janvier-Avril 1998.
- 8– Mrabet Fadela .(1967) . Les Algériennes. Paris : François Maspero.
- 9 - Rahou Yamina ,(2011). « Les femmes dans l'espace public:un enjeu de politiques publiques» . in les espaces publics au Maghreb Actes du colloque international numéro 2, Crasc, Diraset ,Giz, du15.16.17 Mars 2011, Oran, Crasc ,Diraset.

للإحالة على هذا المقال:

- محمد بن شعيب، (2023)، « المرأة الجزائرية بين الفضاء الأسري والفضاء العمومي، التحولات والنتائج.». المواقف، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص. ص 116-129.